

مختارات شعرية

«من ديوان الشريف الرضيؒ»

حَيٍّ، بَيْنَ النَّقَا وَبَيْنَ الْمُصَلَّى،
وَرَوَاحَ الْحَجِيجِ لَيْلَةَ جَمْعٍ،
وَتَذَكَّرَ عَنِّي مُنَاخَ مَطِيِّي
وَتَعَمَّدَ ذِكْرِي، إِذَا كُنْتَ بِالْخَيْدِ
قُلْ لَهُ: هَلْ تُرَاكَ تَذَكَّرُ مَا كَا
فَالَ لِي صَاحِبِي، غَدَاةَ التَّقِينَا
كُنْتَ خَبَّرْتَنِي بِأَنَّكَ فِي الْوَجْدِ
وَقَفَاتِ الرِّكَائِبِ الْأَنْضَاءِ^(١)
وَبِجَمْعِ مَجَامِعِ الْأَهْوَاءِ^(٢)
بِأَعَالِي مَنِي وَمَرْسَى خِبَائِي^(٣)
ف، لَطِيبِي مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الظُّبَاءِ^(٤)
نَ بَابِ الْقُبَيْبَةِ الْحَمْرَاءِ
نَتَشَاكِي حَرَّ الْقُلُوبِ الظَّمَاءِ:
سِدِّ عَقِيدِي، وَأَنَّ دَاءَكَ دَائِي^(٥)

(١) النقا: القطعة من الرمل تنقاد محدودة. المصلى: مكان الصلاة، ولعله أراد بهما موضعين بعينهما، والانضاء، الواحد نضو: المهزول.

(٢) جمع: المزدلفة، وهي بين عرفات ومنى، وليلة جمع ليلة عرفة.

(٣) منى: موضع في مكة.

(٤) الخيف: ناحية من منى. غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس وهو جبل في مكة.

(٥) عقيدي: معاهدي.

ما ترى النفر والتحمل للبيد
لَمْ يَقْلَهَا حَتَّى انشَيْتُ لِمَا بِي
نِ، فماذا انتظارنا للبيداء
أَتَلَقَى دَمْعِي بِفَضْلِ رِدَائِي

لَا وَالَّذِي قَصَدَ الْحَجِيجُ لِبَيْتِهِ،
وَالْحَجْرَ وَالْحَجْرَ الْمُقْبَلِ تَلْتَقِي
مَا بَيْنَ نَاءِ نَازِحٍ وَقَرِيبِ
فِيهِ الشِّفَاءُ، وَرَكْنِهِ الْمَحْجُوبِ
بَيْنَ الْأَضَالِجِ بَعْدَ ذَا لِحْيَبِ
لَيْسَتْ لِمَأْكُولٍ وَلَا مَشْرُوبِ
إِنِّي وَجَدْتُ لَذَاذَةَ لَكَ فِي الْحِشَا
لِي أَنَّهُ الشَّاكِي إِذَا بَعْدَ الْمَدَى
مَا بَيْنَنَا وَتَنْفُسِ الْمَكْرُوبِ

إِنَّ طَيْفَ الْحَيِّبِ زَارَ طُرُوقًا،
فَوْقَ أَكْوَارِهِنَّ أَنْضَاءَ شَوْقِ
وَأَلْمَطَايَا بَيْنَ الْقِنَانِ وَشِعْبِ
طَرَفُوا بِالْغَرَامِ دُونَ الرِّكْبِ
كُلَّمَا أَنْتَ الْمَطِيُّ مِنَ الْإِعْ
يَاءِ أَنْوَا مِنَ الْجَوَى وَالْكَرْبِ
وَأَنْشَى هَاجِرًا عَلَى غَيْرِ ذَنْبِ
زَارَنِي وَاصِلًا عَلَى غَيْرِ وَعْدِ،
كَانَ قَلْبِي إِلَيْهِ رَائِدٌ عَيْنِي،
فَعَلَى الْعَيْنِ مِنْهُ لِلْقَلْبِ
بِتُّ أَلْهُو بِنَاعِمِ الْجِيدِ غَضٌّ،
وَفَمَ بَارِدِ الْمُجَاجَةِ عَذْبِ
بَلَّ وَجْدِي، وَمَنْ رَأَى الْيَوْمَ قَبْلِي
نَاقِعًا لِلْغَلِيلِ مِنْ غَيْرِ شُرْبِ
أَنْتَ عَلَى الْبُعْدِ هُمُومِي، إِذَا
غِيبَتْ، وَأَشْجَانِي عَلَى الْقُرْبِ
لَا أَتَّبِعُ الْقَلْبَ إِلَى غَيْرِكُمْ،
عَيْنِي لَكُمْ عَيْنٌ عَلَى قَلْبِي (١)

لَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ بُرْدَ شَبِيئَةٍ
شَعْرٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّبَابَ غُرَانِقًا،
أَلْقَيْتُهُ بِمِنِي، وَرُحْتُ سَلِيبًا
وَالْعَيْشَ مُخَضَّرَ الْجَنَابِ رَطِيبًا (٢)

(١) العين: الجاسوس.
(٢) الغرائق: الشباب الأبيض.

بَعْدَ الثَّلَاثِينَ أَنْقَرَا ضُ شَيْبِيَّةً،
 قَدْ كَانَ لِي قَطَطًا يُزِينُ لِمَتِي
 فَالْيَوْمَ أَطْلُبُ الْهَوَى مُتَكَلِّفًا،
 إِمَّا بِكَيْتٍ عَلَى الشَّبَابِ، فَإِنَّهُ
 لَوْ كَانَ يَرْجِعُ مَيِّتٌ بِتَفَجُّعٍ
 وَلَسُنَّ حَنَنْتُ إِلَى مِنَى مِنْ بَعْدِهَا،
 عَجَبًا أَمِيمَ لَقَدْ رَأَيْتُ عَجِيبًا
 شَرَوَى السَّنَانِ يُزِينُ الْأَنْبُوبَا^(١)
 حَصْرًا، وَأَلْقَى الْغَايَاتِ مُرِيبًا
 قَدْ كَانَ عَهْدِي بِالشَّبَابِ قَرِيبًا
 وَجَوَى شَقَقْتُ عَلَى الشَّبَابِ جِيوبًا
 فَلَقَدْ دَفَنْتُ بِهَا الْغَدَاةَ حَبِيبًا

وَرَكِبَ تَفَرَّى بَيْنَهُمْ قِطْعَ الدَّجَى،
 يَصُدُّونَ عَنْ وَرْدِ الْكُرَى وَعُيُونُهُمْ
 إِذَا دَعَرْتَهُمْ نَبْأَةً غَادَرْتَهُمْ
 سَرَوْا وَخَيُولُ اللَّيْلِ دَهْمٌ وَعَرَسُوا
 يَضُوعٌ هَجِيرُ السَّيْرِ بَيْنَ رِحَالِهِمْ،
 يَسِيرٌ عَلَى الْبَيْدَاءِ يَتَهَبُّ التُّرْبَا
 خَوَامِسُ حَتَّى تَشْرَبُ الْمَنْظَرَ الْعَذْبَا
 وَقَدْ أَيَقُظُوا مِنْ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْقُضْبَا
 وَقَدْ غَادَرُوا فِي طِرَادِ الضُّحَى شُهْبَا
 إِذَا مَا نَسِيمُ اللَّيْلِ فِي ثُوبِهِ هَبَا

فِي كُلِّ يَوْمٍ لِأَحَبَّةٍ مَطْرَحُ،
 شَوْقٌ عَلَى نَائِي الدِّيَارِ مُغَالِبُ،
 نَفَرْتُ بَنَاتُ الصَّبْرِ مِنْكَ، وَطَالَمَا
 يَا هَلْ يُمَانِعُ بَعْدَ طُولِ قِيَادِهِ
 وَعَلَى الْمَطِيِّ ظِبَاءٌ وَجِرَةٌ كُلَّمَا
 خَالَسْنَا النَّظَرَ الْمُرِيبَ، كَمَا رَنْتُ
 يَبْسِمَنَّ عَنْ بَرْدِ الْغَمَامِ وَبَرْدُهُ
 وَعَلَى الْمَنَازِلِ لِلْمَدَامِ مَسْفَحُ
 وَجَوَى عَلَى طُولِ الْمَطَالِ مُبْرِحُ
 قُصِرَتْ نَوَازِعُ عَنْ ضَمِيرِكَ تَطْمَحُ
 قَلْبٌ يُطَاوِعُ فِي الْقِيَادِ وَيَسْمَحُ
 غَفَلَ الْمُرَاقِبُ تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ^(٢)
 بَقَرُ الْجَوَاءِ إِلَى وَمِيضٍ يَلْمَحُ
 رِيَانٌ يُغْبِقُ بِالْمُدَامِ وَيُصْبِحُ

(١) القَطَطُ: الشعر القصير الجعد. الشروى: المثل. الأنبوب: القنطرة.

(٢) وجره: موضع عرف بظبائه. تشرئب: تمد أعناقها. تسنح: تعرض.

كَلَّمْتَ عَيْنَكَ نَظْرَةً مَزُودَةً مَنَعْتِكَ لَدَنْهَا مَدَامْعُ تَسْفَحُ^(١)
 أَمَسُوا كَأَنَّ لَطَائِمًا دَارِيَةً بَاتَتْ تَضُوعٌ مِنَ الْقِيَابِ وَتَنْفَحُ^(٢)
 مَلَكَوْا وَلَمَّا يُحْسِنُوا وَوَلُّوْا وَلَا مَا يَعْدِلُوا وَعَنُوا وَلَمَّا يَسْمَحُوا
 قُلْ لِلْيَالِي قَدْ مَلَكَتِ فَاسْجِحِي، وَلِغَيْرِكِ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ الْأَسْجِحُ^(٣)

مِنْ أَيِّ خَطْبٍ مِنْ خُطُوبِكَ أَشْتَكِي،
 وَعَنْ أَيِّ ذَنْبٍ مِنْ ذُنُوبِكَ أَضْفَحُ
 إِنْ أَشْكُ فِعْلِكَ مِنْ فِرَاقِ أَحْبَبِي،
 فَلَسَوْءُ فِعْلِكَ فِي عِذَارِي أَفْبِحُ
 ضَوْءٌ تَشَعَّعَ فِي سَوَادِ ذَوَائِبِي،
 لَا أَسْتَضِيءُ بِهِ وَلَا أَسْتَضِيحُ
 بَعْتُ الشَّبَابَ بِهِ، عَلَى مِقَّةٍ لَهُ،
 بَاعِيَ الْعَلِيمِ بِأَنَّهُ لَا يَرْبِحُ
 لَا تُنْكِرَنَّ مِنَ الزَّمَانِ غَرِيبَةً،
 إِنَّ الْخُطُوبَ قَلِيلُهَا لَا يَنْزَحُ
 لِلذَّلِّ بَيْنَ الْأَقْرَبِينَ مَضَاضَةً،
 وَالذَّلُّ مَا بَيْنَ الْأَبْعَادِ أَرْوَحُ
 وَإِذَا رَمَتَكَ مِنَ الرِّجَالِ قَوَارِصُ،
 فَسِيَّهَامُ ذِي الْقُرْبَى الْقَرِيبَةَ أَجْرَحُ

(١) مزوودة، مفرعة.

(٢) اللطائم، الواحدة لطيمة: وعاء المسك. دارية: نسبة إلى دارين، وهي مشهورة بمسكها.

(٣) اسجحي: أحسني.

أَلْبَسَ نَسِيحَ الدَّلِّ إِنْ أَلْبَسْتَهُ
 مُتَمَلِّمًا، وَإِنَاءَ قَلْبِكَ يَطْفَحُ
 مَا دُمْتَ تَتَنَطَّرُ العَوَاقِبَ لِأَبْدًا
 لَا تَعْتَدِي لِعُلَى وَلَا تَتَرَوِّحُ^(١)
 وَضَجِيْعَكَ العَضْبُ الَّذِي لَا يُتَضَى،
 وَخَلِيْطَكَ الزَّوْرُ الَّذِي لَا يَبْرَحُ
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ البَيْتَ، إِنْ أُوْطِئْتَهُ،
 سَجْنٌ، وَطُوْلُ الهَمِّ غُلٌّ يَجْرَحُ
 الأَخْيَّ لَا تُكُ مُضْعَةً مَزْرُودَةً،
 تَنْسَاعُ لَيْئَةَ القِيَادِ وَتَسْرَحُ^(٢)
 أَلَّا أَبَيْتَ، وَأَنْتَ مِنْ جَمْرَاتِهَا؛
 وَمِنْ العَجَائِبِ جَمْرَةٌ لَا تَلْفَحُ
 كُنْ شَوْكَةً يُعْيِي انْتِقَاضُ شَبَاتِهَا،
 أَوْ حَمْضَةً يَشْجِي بِهَا المُتَمَلِّحُ^(٣)
 وَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ الثَّرَاءِ فَكَمْ مَضَى
 مِنْ دُونِ نَرْوَتِهِ البَخِيلُ المُصْلِحُ
 يَبْقَى لِوَارِثِهِ كَرَائِمُ مَالِهِ،
 وَلَقَدْ يُرْفَعُ عَيْشُهُ وَيُرْفَعُ^(٤)

(١) لا بدأ، من ليد بالمكان: أقام فيه.

(٢) المزرودة: المبتلعة.

(٣) الانتقاض: الاستخراج. الشبابة: حد كل شيء، وإبرة العقرب. الحمضة: ما ملح وأمر من النبات. يشجي، من الشجا: اعتراض عظم أو نحوه في الحلق. المتلمح: أراد الذي يأكلها.

(٤) يرفع، من الرفاحة: الكسب والتجارة.

قَدْ يُسْتَجُّ الْمَرْءُ الْعِشَارَ بِجَدِّهِ،
 وَسِوَاهُ يَعْتَمُّ الْفُحُولَ وَيُلْقِحُ^(١)
 لَا عُذْرَ إِلَّا أَنْ أَرَى سُورِبَاتِهَا
 سَوْمَ الْجَرَادِ يَثُورُ مِنْهَا الْأَبْطَحُ^(٢)
 وَالْهَامُ تَعْتَصِبُ الْعَجَاجَ كَأَنَّهُ
 فِي الْجَوِّ شُؤْبُوبُ الْعَمَامِ الْأَمْلَحُ
 قَوْمِي الْأُولَى ضَمِنَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ
 أَنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِمْ لَا يَسْمَحُ
 عَرَكُوا أَدِيمَ الْأَرْضِ قَبْلَ نَبَاتِهَا،
 وَاسْتَفْسَحُوا أَعْطَانَهَا وَتَفِيحُوا^(٣)
 فَتَقُوا بِشَزْرِ الطَّعْنِ أَكْمَامَ الْعُلَى،
 وَهُمْ جِذَاعُ قَبَائِلٍ لَمْ يَفْرَحُوا
 إِنْ أُحْرِجُوا لَمْ يَجْهَلُوا، وَإِذَا قَضَوْا
 لَمْ يَقْسِطُوا، وَإِذَا عَلَوْا لَمْ يَبْجَحُوا
 ذَنْبِي إِلَى الْبُهْمِ الْكَوَادِبِ أَنَّنِي الْـ
 طَّرَفُ الْمُطَهَّمِ، وَالْأَغْرُ الْأَقْرَحُ^(٤)
 يُوَلُونِي خُزْرَ الْعُيُونِ لِأَنَّي
 غَلَسْتُ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَتَصَبَّحُوا

(١) العشار: النياق. يعتام: يختار.

(٢) سرباتها، الواحدة سربة: جماعة الخيل.

(٣) تفيحوا: توسعوا.

(٤) الطرف: المهر الكريم. المطهم: التام من كل شيء. الأقرح: الذي في وجهه بياض دون الغرة.

وَجَذَبْتُ بِالطَّوْلِ الَّذِي لَمْ يَجْذِبُوا،
 وَمَتَّحْتُ بِالْغَرْبِ الَّذِي لَمْ يَمْتَحُوا
 مِنْ كُلِّ حَامِلٍ إِحْنَةً لَا تَنْجَلِي
 غَطَّشِي دُجَّتَتِهَا وَلَا تَتَوَضَّحُ
 ضَبُّ يُدَاهِنُنِي، وَيُشْكِلُ غَيْبُهُ
 مِمَّا يُرْعِي قَوْلَهُ وَيُصْرِحُ
 يَغْدُو وَمِرْجَلُ ضِغْنِهِ مُتَهَزِّمٌ
 أَبَدًا عَلَيَّ، وَجُرْحُهُ مُتَفَرِّحٌ
 مُسِيحَتْ جِيبَاهُ الْوَانِيَاتِ وَلَطَمَتْ
 مِنْ دُونَ غَايَتِهَا الْعِتَاقُ الْقُرْحُ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُلُوبِ مَهَابَةٌ
 لَمْ يَطْعَنِ الْأَعْدَاءُ فِيَّ وَيَقْدَحُوا
 مَنْ خِيفَ خَوْفَ اللَّيْثِ خُطَّ لَهُ الرَّبِيُّ،
 وَعَوَتْ لِتُشْهَرَهُ الْكِلَابُ النَّبِيحُ
 نَظَرُوا بِعَيْنِ عَدَاوَةٍ لَوْ أَنَّهَا
 عَيْنُ الرِّضَى لَاسْتَحْسَنُوا مَا اسْتَبَحُوا
 مَا كَانَ مِنْ شَعْتٍ، فَإِنِّي مِنْهُمْ
 لَهُمْ أَوْدٌ عَلَى الْبِعَادِ وَأَسْمَحُ
